جامعة باجي مختار - عنابة -
كلية الآداب و العلوم الإنسانية و الاجتماعية
قسم الفلسفة
المستوى: السنة الثانية ماستر، فلسفة تطبيقية
الأستاذ: محمد مينار

محاضرات في مقياس: الفن و الجماليات المعاصرة

- المحاضرة الثانية:

- المحور الثاني: علم الجمال في العصر الحديث.

تطرقنا في **المحاضرة الأولى** إلى القناعة التي صارت ثابتة لدى **بومجارتن** بأن الأفكار العقلية ليس بالضرورة تكون منطقية، وذلك حينما تكون أفكارا بسيطة تقترب من لغة الروح والوجدان، وبعبارة أدق، مع **بومجارتن** لم يكن من المستبعد إخضاع الموقف الجمالي للدراسة الفلسفية، بحيث أصبح من الممكن بناء نظرية تستهدف دراسة الموقف الاستطيقي بوصفه معبرا عن علم المعرفة البسيطة، أو ما يمكن التعبير عنه بفن التفكير الجميل، جاعلا بذلك لموضوع الجماليات ميدانا مستقلا عن باقي ميادين المعرفة الأخرى، وإن شئنا القول على وجه الدقة أن الجميل أصبح موضوعا أساسيا للاستطيقا.

في الحقيقة إن جهد **بومجارتن** تمثل في استعادة التجربة الجمالية من هيمنة المطلق، و ردها إلى حضن الذات؛ إذ ليس بالضرورة يكون الكمال خارجا عن الذات، فالذات على هذا النحو يمكن تحريرها جماليا، غير أن هذا المنظور إزاء تفسير طبيعة الموقف الإستطيقي لم يحصل حوله الإجماع.

01- وظيفة الفن عند كانط:

يعتقد **كانط** أنه ليس من الممكن وضع قاعدة واحدة من شانها إدراك الجميل، لهذا عمل على إثبات استقلالية الشعور بالجميل عن ملكة الحكم النظري و كذا عن ملكة السلوك الأخلاقي، فالحكم النقدي الجمالي على الأعمال الفنية لا يمكن أن ينضوي تحت إطار المبادئ العقلية، على اعتبار أن الجميل لا يمكن أن يُعد معرفة، لأنه لا يستند إلى اليقين العقلي، لهذا ترى أن **كانط** عمل على إبعاد الذوق الجمالي عن نظرية المعرفة، فالجميل برأي **كانط** يقع بين عالمي العقل والحس، وعلى هذا النحو يصبح الموقف الكانطي إزاء الحكم الجمالي موقف استطيقيا؛ بحيث تدخل الذاتية بشكل مباشر في عملية الحكم الجمالي.

إن وظيفة الفن عند كانط تبعا لمواقفه السابقة ليست تختص بالبحث عن المتعة الجمالية بحسب ما تكشفه لنا المعرفة الحسية، إنما وظيفة الفن تكمن في البحث عن الجميل المحض انطلاقا من التجربة الجمالية الفردية، بمعنى أن **كانط** اجتثّ الحكم الجمالي من عبودية التصورات ورغبات الذات، فضلا عن تحرير الحكم الجمالي من التقاليد الثقافية والاجتماعية، فالحكم الجمالي عادة ما يكون حرا، ذو طابع شخصي.

02- الفن عند هيجل:

الجمال هو تجلٍ للفكرة المطلقة بحسب **هيجل**، ذلك أن المضمون المثالي للفكرة يتراءى من خلال الصورة الفنية، ولا غرابة أن تنال فلسفة الجمال حيزا كبيرا من فلسفة **هيجل** العامة، حيث وجد فيها حقلا خصبا للتعبير عن فلسفة الروح وفلسفة التاريخ، فالجمال في نظر **هيجل** هو تجلٍ للحقيقة، غير أن **هيجل** في الوقت نفسه يخالف رأي **كانط** في أن ليس ثمة روحا مطلقة، و هذا معناه انتفاء ميزة الفكر والروح عن الأعمال الفنية، ذلك على الرغم من إيمان **هيجل** بأن موضوع الجميل هو الوجدان والشعور والخيال، إلا أن تتبع و استقصاء طبيعة الجميل متاحة فلسفيا، على اعتبار أن النشاطات الفنية التي يقوم بها الإنسان هي تعبير عن الروح، إذ عادة ما كان الفن إشباعا للحاجات الروحية للشعوب و الأمم الغابرة، و تبعا لذلك فقد كانت الفنون بمختلف أنواعها ميدانا للتأمل و التفكير.

وفي معرض دفاعه عن المضمون الروحي للفن، يؤكد **هيجل** على أن الفن يمثل البعد الوجودي للفن؛ ذلك أن الفكرة الشاملة لا يمكن أن تبقى في إطارها المجرد، إنما تتجلى في الظواهر الفنية باعتبارها تجليا من تجليات الحقيقة، ذلك أنه لا يمكن للروح أن تدرك ذاتها إلا من خلال هذه التجليات.

- المحور الثالث: علم الجمال المعاصر.

أفضى النقاش بخصوص إمكانية وضع منهج واحد لدراسة الظواهر الجمالية إلى بروز اتجاهين متعارضين، هما: الإتجاة اللامنهجي و الإتجاه المنهجي، أو ما يطلق عليهما بالإستطيقا العليا و الإستطيقا السفلى.

- أولا: الإتجاه اللاّمنهجي

يعتقد الممثلون لهذا الاتجاه استحالة قيام منهج صارم لدراسة الظواهر الجمالية، و هم الصوفيون و المثاليون و الحدسيون. أما الصوفيون فيستندون في إنكارهم قيام منهج لدراسة الجمال إلى أن أنه ينتمي إلى عالم يرتفع عن العقل، و بالتالي لا يمكن للعقل إدراك طبيعته، و يعد **ابن عربي** واحد من المتصوفة المسلمين القائلين بالتجلي للحقيقة الصوفية، و كذلك **راسكن** الذي يرى أن مفهوم الجمال يقترب من مفهوم العبادة، فالجمال في نظر الصوفية وسيلته الإلهام و الذوق الصوفي لا غير.

و أما الحدسيون فهم كذلك يؤكدون على أن طبيعة الجمال لا يمكن اقتفاؤها عن طريق الوسائل العلمية المنهجية، ذلك أن منبع الجمال هو الشعور، و هو ظاهرة إنسانية لا يمكن أن تخضع لعمليات مخبرية، لهذا ترى **برجسون** يعتقد أن الجمال إنما يتم إدراكه عن طريق الحدس، عن طريق الباطن الشعوري بفضل الديمومة الخلاّقة، و في ذات السياق يؤكد المثاليون على أن طبيعة الجمال مثالية، و هذا امتداد لما اعتقده **هيجل** من قبل أن الجمال ينتمي إلى الروح المطلقة التي تسكن الكون، فهو عنصر من عناصرها و تجلٍ للروح في التاريخ العالمي.

فالاتفاق حاصل بين الممثلين لهذا الاتجاه على أن الجمال ذو طبيعة علوية أو ميتافيزيقية، أو كما يطلق عليهم في الدراسات الجمالية أيضا بالإستطيقا العليا.

- ثانيا : الإتجاه المنهجي

دعاة هذا الاتجاه في الدراسات الجمالية يمثله التجريبيون، و منهم **فخنر**، حيث يقدم حججا يمكن أن تكون دليلا يدعم إمكانية قيام منهج لدراسة الظواهر الجمالية، و من هذه الحجج حجة الأشكال الهندسية التي تعكس طابعا جماليا، فبرأيه أنه كلما كان التناسق في الشكل كلما كان ذلك باعثا على الإعجاب، و هذا ما اشتهر باسم القياس الجمالي، غير أنه لم يحظ بالقبول الواسع لدى المشتغلين بالدراسات الجمالية، و ينضوي تحت هذا الاتجاه أيضا **فرويد** بحيث يعد من أهم الداعين إلى تأسيس الدراسات الجمالية على أسس تجريبية، أو ما ما يسمى بعلم النفس التجريبي.

- خلاصة :

إن جملة الجهود الساعية إلى إقامة علم يهتم بدراسة الظواهر الجمالية على أسس علمية لم يكن مبعثها إحراز علمية الدراسات الجمالية بالضرورة، إنما كان الهدف منها استبعاد العناصر الميتافيزيقية التي تشتمل عليها الظواهر الجمالية و من ثمة ردها إلى دائرة العلم و إخضاعها إلى التفسير بدل الفهم، غير أن الفشل كان السمة التي طبعت هذه الجهود، لأن الإصرار على رد شرعية التقدير الجمالي إلى الموضوع بدل الذات أفرز نوعا من الجنوع إلى الدغمائية، و الأمر نفسه بالنسبة للتأكيد على مصدرية الذات بالنسبة للتقدير الجمالي، الأمر الذي أفسح المجال لبروز الدعوة إلى إحلال المنهج التكاملي في دراسة الظواهر الجمالية، على اعتبار أن إهدار الجهد في هذه المسألة إنما كان بسبب الصراع على أدوات المعرفة في نطاق الفكر الغربي، فتارةً تعطى الأولوية للذات و تارةً أخرى للموضوع.

-المراجع:

1- إ.نوكس، **النظريات الجمالية**، تعريب: محمد شفيق شيا، منشورات بجسون الثقافية، بيروت، لبنان، ط1، 1985م.

2- أميرة حلمي مطر، **فلسفة الجمال، أعلامها و مذاهبها**، دار قباء للطباعة و النشر و التوزيع، القاهرة، مصر، د – ط، 1998م.

3- جوردون جراهام، فلسفة الفم، مدخل إلى علم الجمال، ترجمة: محمد يونس، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة، مصر، ط1، 2013م.

4- رمضان بسطاويسي محمد غانم، **فلسفة هيجل الجمالية**، المؤسسة الجامعية للدراسات و النشر و التوزيع، بيرت، لبنان، ط1، 1991م.

5- سانتيانا، **الإحساس بالجمال**، ترجمة: محمد مصطفى بدوي، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، مصر، د – ط، د – ت.

6- ستيس، ولتر، **معنى الجمال**، ترجمة: إمام عبد الفتاح إمام، المشروع القومي للترجمة، مصر، د – ط، د – ت.

7- غادة المقدم عدرة، **فلسفة النظريات الجمالية**، جروس برس، طرابلس، لبنان، ط1، 1996م.